

السر الأعجائب

لعلمها المتقدرون والمقتبسات

للإمام الكبير والسيد الخطير
سيدنا السيد أحمد الرفاعي
رضي الله عنه وقدس سره

مكارم الأخلاق

المنطوية في أسرار العبادات وما تنطوي عليه
من الحكم التي وضعها فيها فارضها باريء البريات
منها الوضوء والصلوة والاغتسال والصوم والزكاة والحج
والحكمة الجامعة لكل ذلك قول المؤمن المخلص
﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ﴾

* * *

قال الإمام أبو عمر عز الدين أحمد الفاروقي الرفاعي -
رضي الله عنه وعن آبائه وأجداده الأعلام حملة الشريعة
الكرام - في كتابه ﴿ إرشاد المسلمين ﴾ يصف الإمام
السيد أحمد الكبير الرفاعي - رضي الله عنه - في كتابه
هذا : كان آية من آيات الله يمشي على وجه الأرض
تتجزأ ينابيع الحكم من قلبه الظاهر ، وجرت على لسانه
كالبحر الراخِر ، منها ما قاله - رضي الله عنه - سنة سبع
وخمسين وخمسمائة برواق ﴿ أُمْ عَبِيْدَة ﴾ ثالث يوم من

خيبة العيب والسؤال . والرابع بذلك المعروف لخلق الله تعالى ، والكف عن كل ما يؤذيهم من قول وفعل .

واعلموا أي سادة : أن من حقوق الله تعالى الغيرة لأوامره أن تمثل ، ولنوهيه أن لا تهمل ، ولكتابه أن ينصر ، ولرسوله أن يُوقر ، وللقائه أن يتضر .

الله الله يُحذركم الله نفسه ، هذه الصلاة يراها المارق والجاحد والكافر والذى في قلبه مرض فيعجب لفاعلها كيف توضأ وانتهض قائماً مستقبلاً القبلة يركع ويُسجد ، ويقوم ويقعده والعارف في حضور مع ربه ، في حضرة الصلاة ، هذه حضرة جمعت كل الحكم .

نعم : نحن لانعمل للعلة ولا نصرف العمل للعلة ولكن نشكر من طوى الحكم بأعمالنا ؛ هذا الوضوء ، يدفع كسل الأعضاء ، ويحرّك نشطة الدم الصالح في العروق ، وينصلح حرارة الأطراف ، ويسكن في الرأس ثائرة البخار ، والاستنجاء النقي الشرعي يدفع شر تسعة أدوات تصل إلى

شعبان بعد العصر في مجلسه العام ، الحافل بالعلماء الأعلام ، والأولياء الكرام ، والأعيان وعرفاء الزمان ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا يندرج به حمد الحامدين الذين ارتضاهم ودهاهم ، والصلوة والسلام على سيد المرسليننبي الرحمة حبيب الله سيدنا محمد الذي أعلى الله به منار النبيين وشيد حمامهم ، وعلى آله وأصحابه أقمار سماوات الهدایة وكواكب آفاق الصدقية والولاية وعلى تابعيهم ووارثيهم ومحبيهم وعليينا وعلى عباد الله الصالحين أجمعين .

أما بعد أي سادة : نظام هذا الدين صلح بمحارم الأخلاق وهي على أربعة أركان :

فال الأول إيفاء حقوق الله تعالى . والثاني إعطاء شأن رسول الله ﷺ . والثالث منع النفس عن كل ما يُستر لأجله

السُّوَاكُ مَعَ الْوَضُوءِ وَبَعْدِهِ وَفِي غَسْلِ الْوَجْهِ وَمَسْحِ الْأَذْنَيْنِ
مِنْ إِبْرَادِ حَرَةِ الْجَلْدَةِ مَا يُصْلِحُ الْبَشَرَةَ وَيُحَسِّنُ مَخْتَلِفَ دَمَهَا
وَيُزِيدُ الدَّمَ الصَّالِحَ زِيَادَةً رُشْفٌ كَرَارٌ لَا يُفْسِدُ الْأَصْلَ وَلَا يُقْيِهِ
عَلَى فَسَادِهِ وَيُرْبِيلُ خَسْتَهُ الصَّمْعَ مِنَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَذْنَيْنِ فَيُصْلِحُ
طَرِيقَهُمَا .

وَهَذَا الْوَقْفُ بَيْنَ يَدِ اللَّهِ هُوَ الاعْتَرَافُ لِلَّهِ بِالْوَاحِدِيَّةِ
وَالْقِيَامُ بَيْنَ يَدِهِ تَعَالَى بِذَلِكِ الْعَبْدِيَّةِ عِلْمًا بِأَنَّهُ سَبَّحَهُ هُوَ
الَّذِي يُحْيِي وَيُمْتِي وَيُعْطِي وَيُمْنِعُ وَيُضْرِبُ وَيُفْعِنُ وَيُفْرِقُ
وَيُجْمِعُ وَيُصْلِلُ وَيُقْطِعُ إِلَيْهِ الْمَصِيرَ ، فَإِذَا وَقَفَ الْعَبْدُ هَذِهِ
الْوَقْفَةُ نَزَلَ عَنْ مَطْلَبِهِ غَرْوَرَهُ وَدَعْوَيِّ فَعْلَهُ وَتَسْرِيبَلُ بِسَرْبَالِ
الْعَجَزِ بِنَفْسِهِ فَاسْتَنَدَ فِي كُلِّ أَفْعَالِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَحَقَّقَ
أَنَّهُ سَيُّحْشِرُ وَيُعَرَّضُ عَلَى اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ سِيسَّأَهُ عَنْ أَفْعَالِهِ كُلِّهَا
فَهَنَالِكَ يَقْفَعُ عَنْدَ حَدِّ عَبْدِيَّتِهِ فَلَا يَتَجاوزُ عَلَى خَلْقِيْنِ مِنْ خَلْقِ
اللَّهِ وَيَأْمُنُ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِوَاقْفَهِ إِذَا أَبْرَزَهُ اللَّهُ حَاكِمًاً قَادِرًاً عَلَى
النَّاسِ أَوْفَهُمْ عَنْدَ حَدُودِهِمْ وَآمِنُهُمْ مِنْ بَعْضِهِمْ ، وَأَقَامَ
كَلْمَةَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَقَاتَلَ عَلَيْهِمَا وَقَتَلَ لَهَا إِذَا أَبْرَزَهُ مُحَكَّمًا

الْبَاطِنَةَ مِنْ عَدَمِ الطَّهَارَةِ ، أَفْلَهَا شَبَّةُ الْغِلْظَةِ فِي الْعَرْوَقِ ،
وَحُكِّمَ طَهَارَةُ الشَّوْبِ وَالْبَدْنِ وَالنَّظَافَةُ فِيهِمَا وَإِنْ كَانَتِ
الْأَثْوَابُ أَطْمَارًا فَإِنَّهُ يَقِيْنٌ مِنْ وَعْثِ الْبَشَرَةِ وَيَحْفَظُ مِنْ ضَمَّاْخِ
الْجَلْدِ الَّذِي يُثْبَتُ فِي وَرْقَةِ الْجَلْدِ الْحَرَارَةِ الْخَضْلَةِ الَّتِي
تَقْرُمُ بِالْحِكْمَةِ وَالْجَرْبِ وَالنَّزْعَةِ الصَّفَرَاءِ فِي الْعَرْوَقِ ،
وَالْحَمْوَضَةِ الْكَافِلَةِ لِتَولِيدِ الدَّمَامِلِ الْقَبِيْحَةِ وَمَا أَحْسَنَ مَاجَاهَهُ
فِي السُّنَّةِ مِنِ الْأَغْسَالِ يَوْمَ الْجَمْعَةِ وَأَحْسَنَهُ مَا كَانَ عَنْ طَهْرِ
أَيِّ لَمْ يَكُنْ عَنْ سَبْبِ جَمَاعٍ وَفِي ذَلِكَ مِنْ إِكْمَالِ رُتبَةِ
الْحَكْمَةِ الصَّالِحةِ لِنَظَامِ الْوِجُودِ الْأَدَمِيِّ مَا فِيهِ بِلَاغٍ ، وَقَدْ
أَسْتَحْسَنَ الْوَضُوءَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنِ الْأَوْقَاتِ الْخَمْسَةِ وَلَوْ
أَمْكَنَ الْمَرءُ إِمْرَارَ الْيَوْمِ بِوَضُوءٍ وَاحِدٍ لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَنَافِعِ
الْمُعْيَيْنَةِ لِلأنْفِ بِدُفْعِ سَفَسَافَةِ الْمَضَرِّ بِطَرْقِ الْحَلْقَومِ التَّيْ
تَتَدَلَّلُ إِلَى الصَّدْرِ وَلِمَا فِيهِ مِنْ الْمَنَافِعِ الْمُعْيَيْنَةِ لِلْفَمِ بِتَبَدِيلِ
غَطَّتِهِ الْمُشَتَّمَلَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنِ الْعَوَارِضِ الْلَّازِمَةِ التَّبَدِيلِ
وَالصَّالِحةِ لِإِصْلَاحِ رَائِحَتِهِ وَتَنْقِيَتِهِ وَتَبَرِيدِ شَوْطَتِهِ التَّيْ تَرْمِضُ
لِحْمَ الْأَسْنَانِ وَتَكْلِفُ عَرْوَقَهَا الْمَلَاصِقَةَ لِصَفَّهَا وَمَا أَحْسَنَ

أغنى منه فانكسر لسلطانه ، وإن كان في دعٍة وأمنٍ ذكر تصرُّف عظمة الله الذي أحاف من هو أكثر منه دعوة وأعز أمّا فنكس هامة الغفلة وعكف على عتبة الكرم ، وإن كان في كرب فادح وعسر مزمع ذكر لطف الله وخوارق عنياته فإنَّه فرج عن من هو أسوأ منه حظاً وأهم منه كرباً وأضيق منه مِنْزعاً فاطمان بلطف ربه وركنت همته للاعتماد عليه سبحانه ؛

الصلوة الصلاة هي عمود الدين ، سُلُمُ القرب من الله ، حصن الأمان والإيمان ، أين أنت يا أعمى البصيرة ظننت أن الصلاة كلها لك في خلوتك ، كغلظتك في جلوتك ، اللهم إنا نعوذ بك من فهم سُلُمُه وأعمامه دعوى الفهم ، اللهم إنا نعوذ بك من عقل يلتفت طيره حجات الشّبهة ويالله جيفها ولا نصيب له من الحِكمة .

هذا الصوم نور القلب صيقل الفؤاد يفتح أبواب الفكر المصدّية ويجلو غبار مرآة السر ، يقول المطموش الفهم

رضي بحكم الله ، وانقاد لأمر الله ، وكان مع الحق لا مع نفسه ، عَظِيمٌ من فوقه إعظاماً لأمر الله ، وأuan من هو مثله لوجه الله ، ورحم من هو دونه مرضاه لله ، وأم هذه الحِكم الصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهِيٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللهِ أَكْبَر﴾ يعني الذكر الجامع لأحكام العبدية الذي هو الصلاة أكبر سلطاناً على النفس من كل شيء ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهُمَا﴾ ؟

ولما كان الإنسان مجبولاً على النظر إلى الآثار والنظر إليها يهش به إلى نسيان الأوامر والنواهي ﴿وَإِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ افترض سبحانه على العبد الصلاة في اليوم والليلة خمس مرات ليقطع عن النظر إلى الآثار وإلى طوالع الأحوال والأزمان فإن كان في قوة مطعنة ذكر قرة الله الذي أزال من هو أقوى منه فهدم صومعة غروره وذلل ربه ، وإن كان في مال مُطْعِنٍ ذكر صدمة قدر الله الذي أفقر من هو

لأعطي إلا من الحلال فيجهد للحلال ويكتف عن الحرام ، ويخشى في مقام عبديته مُرقباً نفحات الأنس التي تحصل لأهل المشاهدة والحضور في رمضان ، والحضور هو الغيبة عن الأغيار ودوم الخشية منه سبحانه ، وقد يكون جمع الهمة في الصيام بواسطة القلب فهو كعبة الحضور حالة الصوم كما أن الكعبة قبلة الحضور حالة الصلاة وما القلب والكعبة إلا جهتان معينتان لمحاضرة أسرار الحق وإنما المعبود الحق : هو الله ، والمقصود بالذات هو ، وإنه لم تزد عن الجهة والمكان ولو كانت مواقع الأسرار تدل على جهة لاختلفت الجهات وتشتت عزم العزييمة وضاع المطلوب ، ولم يكن القصد من هذه الجهات المعينة للمحاضرة إلا جمع الهمة ﴿فَإِنَّمَا تُولِّوْ فَثَمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ هذا في مقام المحاضرة ، وفي مقام تعفير الوجه بخدمة العبودية ﴿فَوْلَ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجَدِ الْحَرَامِ﴾ وإذا ترِضَ العبد بالصوم خرج من كثافة عادته وسُلِّ من غمد غفلته كما يُسلِّ السيف من قرابة ، وهناك

الميت القلب : ما هذا الجوع ولا يُشي . ولسان الحكمة يقول له : هذا مجتمع الحكم يصوم الصائم إيماناً واحتساباً ذلة الله وذبولاً تحت شراع الأمر الإلهي ليأخذ من سر الصوم ظاهر حكمَةَ الحكم العدل الذي ساوي بما يُؤول إليه بين الحر والعبد ، والملك والمملوك ، والكبير والصغير ، والعظيم والحقير ، والمأموم والأمير ، فيتخلق بأخلاق الله ، وينصف الناس منه في كل شؤوناته ، وعلى قدر حاله ، وأقل المراتب أن يُنصف بنفسه ويتتحقق بمقام الإنصاف تخلقاً بأخلاق العدل الحي القيوم ، هذا إذا لم يكن له قدرة متعددة على غيره البتة ، ويدرك إن كان غنياً حال الفقراء فيرحمهم ويحنو عليهم ويحسن إليهم ، وإن كان فقيراً فيحمد الله الذي ساوي بينه وبين من هو فوقه ويُحسن الظن بالله أن يُلحّنه بالأغنياء الشاكرين في النعم كما ألحقه بهم في الحكم ، وهناك يُكثر الدعاء لإخوانه الفقراء بل ولكل المسلمين ويعلم أن الإفطار لا يصح إلا على الحلال والسوحر لا يكون إلا من الحلال والصادقة

الاستطاعة مالاً وبذناً وغير ذلك ، ولا يصح ويُقبل إلا من مالٍ حلال فكلمته المباركة غُتنَّها تسوق إلى جمع المال الحلال ، وهجر الكسل في الأعمال ، وفيه من جمع الكلمة على الأمر الإلهي المرضي معانٍ تظهر لكل ذي لب يُريد الله به الخير ينهى لسان حاله عن الخلاف ويأمر بالوفاق ويشد مثرب العزم لاستحصال المطلوب المرضي ولو بشق الأنفس ويحرض على وقاية عصابة الأمة لتمكن من حفلة دينها فتؤديها طيبة الخاطر آمنة القلب وضمن هذه المعاني الشريفة معانٍ لو أردنا سردها لسُودَنا أسفاراً ، وأطشنا ألياباً ، وإن الحكم الجامع لـكل هذه الحكم قول المؤمن المسلم الموقن المخلص :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ ﴾



التوحيد لباب الحقائق وروح الحكمه وكثرة كل خير والواسطة العظمى ، بل الوسيلة الكبرى فيه رسول الرحمة الذي جاء بالحق ومحا الشكوك وأصلح طرق القلوب

يصلح لكل عمل ديني ودنيوي ، وإن من أثقلاته عادته ونام على وتدتها فهو ربيطها وحلس غائلتها ، ومثل ذلك الرجل لا ينتفع به لا في مهام الدنيا ولا في سُبل الآخرة ، وكل أخ لا ينفع في الدنيا لا ينفع في الآخرة .

هذه الزكاة بـالصالحين ، وكثرة العارفين تُعطى من الحلال عن الحلال للذين قسم الله ، وكلمة الزكاة ناطقة بكلية معانيها باقتناه الحلال وطلبـه من الطريق المرضي تأمر بمعناها المقصود بالتجارة والزراعة والصناعة وطرح البطالة والتعاون في الله ، والرأفة بال المسلمين والرحمة لهم مازمة بشكر النعمة جاذبة همم أهل الفاقة للسعى الصالح وطلب الرزق وفيها من أسرار العلم بالله حِكْمَ آخر تصلح لأهل النهاية .

وهذا الحجـ موسم المخلصين ، تجارة المؤفقيـن ، أنموذج القدوم على الحـيـ القـيـوـمـ تـشـدـ فيـ الرـحالـ إـلـىـ بـيـتـ اللهـ وـزـيـارـةـ نـبـيـهـ - عـلـيـهـ أـفـضـلـ صـلـوـاتـ اللهـ - وـبـقـاعـ التـيـ اـرـضـاهـ اللهـ ، بـعـدـ اـقـتـاءـ الزـادـ وـالـراـحـلـةـ وـاسـتـكـمالـ شـروـطـ

الكشوفات فحركت أحوالها فاهتزَّ لها السر فاغترف اللسان
تلك الأحوال فهاج وماج ونطق بالحقائق المكتنونة ،
فالمتمكن من رجال الحضرة إذا غلبه الطرف بالمعنى وصل
إلى الحقيقة وما تبعُّها ، والمتمكن الكامل الملحوظ بعين
الوقاية واللطف والصُّون يكتُم أخباره ، ويصون أسراره
فتضيء مصابيح قلبه ويغلب على حاله نعم : تذوب
بشريته ، ويرق طرق وجوده فتُطوى فيه حقيقة عجيبة ، قلبه
جبل شامخ ، وجسده خيالٌ مُصوَّر ، وأنشد :

كتم الغرام فزاده كتمانه
وطوى الهوى فأشاعه أجفانه
وجفا الرقاد وبات وهو مُململ
تحدوه نحو حبيبه أشجانه
لم يبق منه سوى الخيالٌ مُصوَّرًا
تحت الشياطِ تحفَّه نيرانه
ما قصدَه غير الوصول ونظره
تشفي غليلاً في الفؤاد مكانه
مقاصد (٤) - ٤٩ -

ف مقابلها من باريءٍ قوالبها القبول ، اللهم صلْ عليه وسلم
صلوة وسلاماً يليقان برفع قدره الذي اخترت له إعزاز الجنابه
وإعظاماً لمرتبته في حظائر قدسك لتقرَّ بعنایتك فيه عينه
ويطيب قلبك وتفرح همته إنك أهل التقوى وأهل المغفرة
وارحمنا بمحبتك له ، ونور قلوبنا بمحبتك ، ومننا عليه وعلى
آله وأصحابه أكمل الصلاة والسلام إيماناً بك وإيقاناً برسالته
وانهضناً لمرضاتك ولا حول ولا قوَّة إلَّا بك يا عليٰ
يا عظيم .

وقال - رضي الله عنه - في بعض مجالسه الشريفة سنة
ثمان وخمسين وخمسين برواق «أم عبدة» بعد كلام
شريف :

أي سادة حنين أين القلوب العارفة يأخذ أزمة السائر
إلى رفارف الحظائر الربانية فتطوف في فيفاء الملكوت
الأعلى ، وتشق حجب ستور المسدلة على كوامن الأسرار
فإذا زُمت وانشقت قافلة إلى القلوب تدلّت إليها عجائب

فإذا رأى وجه الحبيب تباعدت
عنـه الهمـوم وـشـلت أحـزانـه

﴿ قال جَدِّي وَلِيَ اللَّهِ الشَّيْخُ عُمَرُ أَبُو الْفَرْجِ الْفَارُوقِيُّ
- رضي الله عنه - ﴾ :

الله من كلام عرفة خالص صدر على لسان سيد
العارفين المتمكنين في محفل حفل بالأولياء والعرفاء
وأصحاب الحقائق فأذلهـم ، كنت في ذلك المجلس
السعـيد فـوالله رأـينا سوارـي الرـواق تمـيد وجـدرـانـه تـئـن لـعـزةـ
ـسـلطـانـ صـدقـةـ وـتمـكـنـهـ ، رـضـيـ اللهـ عنـهـ وـعـنـاـ بـهـ .